(١)
حروب فردريك الثاني ضد الإيبليين
في
سورية و قبرص

تأليف
فيليب دي نوفار

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

أوجد انتصار حطين و ما أعقبه من تحرير للقدس و لعدد كبير من المدن و الحصون واقعاً جديداً، كاد أن يصبح صاحب تأثيرات شاملة دائمة، لكن اخفاق صلاح الدين في تحرير صور، و سياسته تجاه أعيان أسرى حطين و كذلك الأفراد شكلت بداية تراجع، إن لم أقل انتكاسة، ووضح هذا أثناء وقائع الحملة الثالثة، حيث فرضت واقعاً جديداً، تمثل بشكل رئيسي بإزاحة بيزنطة من على مسرح الأحداث، و بتأسيس حكم لاتيني في قبرص، و بإعادة تأسيس مملكة القدس في عكا، و كان بالين دي ايبلين من أبرز شخصيات الفرنجة التي تعاملت مع صلاح الدين أثناء استسلام القدس له، لابل بعد ذلك ايضاً، و نظراً للفراغ الكبير الذي تكون في اوساط الفرنجة البلديين — البوليان — تقدمت أسرة بالين إلى الصدارة، و تابعت تقدمها لاسيما بعد وفاة صلاح الدين.

فبعد وفاة صلاح الدين انشغل رجالات الأسرة الأيوبية بالحروب الأهلية الداخلية، و هكذا فرطوا رويداً رويداً بجل مكاسب صلاح الدين بعد حطين، و استرد الفرنجة عدداً من مدن الساحل الشامي حرباً، أو تخاذلاً أو خيانة، و كان من بين ما استردوه مدينة بيروت، التي فرط بها واليها عزالدين سامة، و كان بالأصل من مماليك صلاح الدين، و عبر أحد الشعراء عن مشاعر الناس آنذاك تجاه ماكان يحدث فقال مخاطباً صاحب حصن تبنين عندما حاصره الفرنجة سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨ م، و قاومهم :

سلم الحصن ماعليك ملامة — لايلام الذي يروم السلامة

عطاء الحصون من غير حرب — سنة سنها ببيروت سامة

وآلت بيروت بعد ضياعهابوقت قصير إلى حكم الأسرة الإيبلينية، و استطاعت هـذه الأسرة بحكمها لبيروت أن تجمع ثروة كبيرة و بـالتالي أن تشغـل دوراً عظيماً في تاريـخ الفـرنجة في كـل مـن مملكـة عكا و مملكـة قبرص،و ظهر هـذا الدور أثنـاء الحملة الصليبيـة الخامسة، لكنـه اتضح تماماً أثناء الحملـة الصليبية السادسة، ففي هذه الحملـة لم تقم معارك بين السلطان الكامـل محمد بن العادل و بين الامبراطور فردريـك الثاني، فقد تسلم هذا الامبراطور القـدس من الكامل عن طريـق المفاوضات، و لأن الكامل استولت عليه الرغبة بالتفرغ لقتال أخوانه في الشام و أفراد بيته و الصراعات التـي تمت أثناء وجود فردريـك الثاني في المشرق كانـت بينه و بين الايبلينين، و هكـذا استمرت و تحولـت إلى حروب فـرنجية داخليـة بعد عودته إلى إيطاليا .

و غـاب الأيـوبيـون عن استغـلال هـذه الصراعـات و الحروب لأنهم انشغلوا هم أيضـاًبشؤونهم الداخلية، و هذه صورة مفجعـة دوّن أخبارها بالتفصيـل من الجانـب الفرنجـي فيليب دي نـوفار، الـذي نقدم تـاريخه الآن، و ما دونـه فيليب هو الأهـم، وهو الذي يـؤخذ عليه ليـس انحيازه للبيت الإيبليني فحسـب، بل الشعر الغث الذي نظمه و أودعـه في ثنايا صفحات كتـابه، لكـن مع ذلـك هذا الكتـاب بشعره وثيقـةثمينة تصـور واقـع الفرنجـة في المشرق في النصـف الأول مـن القرن الثـالـث عشر، و تفيدنـا أن كل مـن الحملة الخامسـة و السادسـة كان الألمان هـم الذيـن أسهموا فيها أكثـر من سـواهم، لكـن بالوقـت نفسه كـان دور البابـوية معادلاً، إن لم نقل متفوقاً على الدور الألماني، و كان للصراع بين البابوية و الامبراطورية أبعد الآثار على مصير الحملتين.

و فيما الصراعات الداخليـة في الشام شاغلة للقوى كلهـا، كان المغول قد أسسوا امبراطـوريتهم المترامية الأطراف، و استولـوا على واحة خوارزم، و أزالوا أسرتها الحاكمة، و دفعـوا بجلال الدين منكبرتي سلطـان خوارزم

مع فلول جيوشه نحو الجزيرة الفراتية و أعالي بلاد الشام .

و تورط الخوارزمية بالصراعات الأيوبية، الأيوبية، و ساعدوا الصالح أيوب على استرداد القدس من الصليبين، و من ثم الوصول إلى عرش السلطنة في القاهرة، مما أثار مايعرف بالحملة الصليبية السابعة، و تزامنت أحداث هذه الحملة مع تدمير قوى الخوارزمية، و بالتالي انفساح المجال للمغول للتقدم من العراق نحو الجزيرة و بلاد الشام، و لقد ورد بعض أخبار هذا في بعض المصادر العربية المتقدمة و سنرى المزيد حوله في غير العربية حول الحملة السابعة و ماتلاها مع عدد من النصوص الجغرافية الهامة.

من اللّه أستمد العون، و أستلهم الرشاد، و أطلب التوفيق، و له جل و علا الحمد الدائم و الشكر، و الصلاة و السلام على نبينا المصطفى و على آله و صحبه و سلم.

سهيل زكار

دمشق ١٩ — شعبان ١٤١٩ / ٨ — كانون الأول ١٩٩٨

مدخل

١— إن أخبار أعمال الحرب « Gestes des chiprois » و حوليات أمادي هما أساس نص هذا التاريخ

لايوجد — بقدر ما نعلم — في هذه الأيام مخطوط يحتوي على النص الأصيل لتاريخ فيليب دي نوفار ، و النص الذي نقدمه اليوم قام بالأساس على ما صنفه بحرص شديد ، و أعّده شارل كوهلر من خلال مصدرين رئيسيين كان كتاب فيليب قد دمج فيهما، و هما « أخبار أعمال الحرب » و «حوليات أمادي »، و جاء عمل كوهلر عملاً علمياً دقيقاً جداً، و لاشك أن النص المصنف ، هو أقرب ما يمكن إلى نص فيليب الأصلي، و سيظل كذلك حتى يجري اكتشاف مخطوط المؤلف نفسه .

و كان كتاب «أخبار أعمال الحرب » ، والذي هو المصدر الرئيس لتاريخ فيليب ، هو حولية كتبت بالفرنسية القديمة ، في قبرص في القرن الرابع عشر ، و هو متوفر في مخطوط واحد تاريخه ١٣٤٣، و قد نسخ في سيرينا Cerines من قبل جون لى ميج Miege ، و كان سجيناً لدى عموري دي ميمار Mimars ، قسطلان قلعة سيرينا ، القلعة التي استخدمت آنذاك ـ كما الحال اليوم ـ سجناً حكومياً ، و تم اكتشاف هذا المخطوط في سنة ١٨٨٢ من قبل م . كارلو بيرين Perrin في بيدمونت ، و ما برح في الملك الخاص لأسرته ، و قد اتخذت عنه نسخة تحت إشراف م . بيرين و أرسلت الى الكونت بول رينت Riant ، الذي كان مؤرخاً واسع الشهرة في ميدان تاريخ اللاتين في الشرق ، و قد أودع هذه النسخة في المكتبة الوطنية حيث تحمل الرقم «٦٦٨٠ ـ مخطوطات فرنسية حديثة التملك »، و اعتماداً على هذه النسخة أعّد غاستون رينود Raynaud طبعته المحققة التي نشرها في عام ١٨٨٧ تحت رعاية

جمعية الشرق اللاتيني، و قد تولى م . بيرين تصحيح تجارب هذه الطبعة اعتماداً على النسخة الأصيلة التي بحوزته، و جرى فيما بعد إعداد طبعة ثانية للنص اعتماداً على نسخة رينيت من قبل الكونت لويس دي ماس لاتري ، بغية إلحاق هذا النص بنصوص مجموع روشيل :«تواريخ الحروب الصليبية » المنشور من قبل «أكاديمية النقوش و الآداب الجميلة »، و ظهرت هذه الطبعة عام ١٩٠٦ في المجلد الثاني من «الوثائق الأرمنية »، و بما أن الكونت دي ما س لاتري قد توفي قبل نشر هذا المجلد ، عهد بإكمال عمله إلى غاستون الباريسي، ثم عهد به فيما بعد إلى شارل كوهلر، و قد حمل النص المنشور مقدمة كتبها كوهلر، و عانت هذه الطبعة من الإقحامات الثقيلة، و لأن النص كان مبسطاً ، فقد أقحمت فيه كلمات كثيرة في أماكن عديدة بهدف توضيح معانيه، و قد أدى هذا الى تغيير النص بعض الشيء، كما جرى توحيد لفظ الكلمات، و مع أن الترجمة الحالية عادت مراراً إلى هذه الطبعة ،لقد اعتمد نص أخبار الأعمال ـ باستثناء نص فيليب الذي صنعه كوهلر فيما بعد ــ على طبعة رينود .

وكتاب « أخبار أعمال الحرب » هو تاريخ لمملكة قبرص من الأزمان المبكرة حتى سنة ١٣٠٩، و قد جرى.تصنيفه في حوالي سنة ١٣٢٥ ، من قبل مصنف غير معروف تمّ التعرف عليه على أنه جيرارد دي مونتريال ، وجرى تقسيم هذا المصنف إلى ثلاثة كتب هي : «تاريخ الأرض المقدسة » و « تاريخ فيليب دي نوفار » و« تاريخ داوية صور » ، وذلك مجاراة لرينود فهو الذي أطلق هذه الأسماء عليهم ، و «تاريخ الأرض المقدسة»، هو سلسلة من الحوليات ،التي تقصت تاريخ العالم من الخليقة حتى سنة ١٢١٨، و قد فقدت الأوراق الأولى من المخطوط،وعلى هذا تبدأ الحوليات فعلياً بسنة ١١٣٢، ولقد ورد في الفقرة ٨١ أنه جرى في الفقرات المتقدمة عرض تاريخ العالم من آدم

حتى فردريك الثاني ، مما يعني أن الأجزاء المتقدمة كانت تحتوي على عرض مختصر لتاريخ العالم ، أما بالنسبة لقسم ١١٣٢ حتى سنة ١٢١٨، فهو كله مجرد حوليات مختصرة، مع تفاصيل أطول أحياناً لبعض الأحداث المحلية الهامة ، و يتفق غاستون الباريسي و شارل كوهلر بالاعتقاد على أن الفقرات من ٨٢ حتى ٩١ قد أقحمت في تاريخ الأرض المقدسة بعدما انتزعت من السيرة الذاتية المفقودة لفيليب دي نوفار، ولسوف تتوفر هذه الفقرات في الملحق الأول في آخر هذا المجلد .

و الكتاب الثاني من تاريخ «أخبار الأعمال » هو بشكل أساسي تاريخ فيليب دي نوفار ، و قد شكل هذا القاعدة بالنسبة لنص كوهلر، و كان مصنف «أخبار الأعمال » قد ضمنه فقرات من مصادر أخرى ، ولاسيما من تاريخ هرقل (أي تكملة تاريخ وليم الصوري) ومن كتاب « حوليات الأرض المقدسة » ، و قام كوهلر بمقارنة دقيقة بين نصوص «الأعمال» و «هرقل » و «الحوليات» و أخرج أثناء إعادة بنائه للنص الأصلي لفيليب جميع ما أقحم به وضمنه .

و الكتاب الثالث في « الأعمال » أي «تاريخ داوية صور » هو تكملة لتاريخ قبرص و سورية من ١٢٤٣ حتى ١٣٠٩، و الصفحات الأخيرة من المخطوط هي مفقودة أيضاً ، و من الممكن الإفتراض أن الكتاب بصيغته الأصلية لم يتجاوز بالتاريخ أبعد من عام ١٣٢٤، وهي سنة وفاة هنري الثاني ،فمع هذه السنة أنهى فلوريو بوسترون Florio Bustron ـ الذي استخدم «الأعمال » مصدراً له ــ الجزء الثاني من تاريخه ، و هذا بلا شك أفضل مصدر عن هذه الحقبة من تاريخ اللاتين في الشرق، وصحيح أنه أدنى مكانة من كتاب فيليب دي نوفار إلا أنه يمتلك بالفعل مكانة معيارية تظهر أن المصنف كان جيد المعلومات و قد تملك فهماً و تقديراً تاريخياً له قيمته .

والكتاب الهام الثاني المبني إلى أبعد الحدود على تاريخ فيليب هو «

حوليات فرانسيسكو أمادي » وهذا الكتاب تاريخ بندقي لقبرص ، منذ أيام الخليفة عمر حتى اعتلاء الملك جون الثاني للعرش في قبرص سنة ١٤٣٢ ، وقد كتب قبل سنة ١٤٨٩ ، ويستدل من محتوياته أنه كان ملكاً لعالم بندقي و لغوي هو فرانسيسكو أمادي ، الذي ربما كان ـ أو ربما لم يكن ـ هو المصنف ، مع أنه يعزى إليه بشكل عام ، ويلاحظ أنه بالنسبة لحوادث السنوات من ١٢١٨ حتى ١٢٤٣ ، في هذا الكتاب أنها ترجمة حرة لكتاب تاريخ فيليب إلى لغة البندقية ، مع بعض أعمال الاختصار والضبط و التحسين في أجزاء مختلفة ، وعلى افتراض أن أمادي هو الذي كتب الحوليات ،من الواضح أنه كان أمامه النسخة الأصلية من «تاريخ فيليب » أو نسخة من « الأعمال » ليس فيها النقول من «هرقل » ،ويلاحظ أنه في كل مرة نسخ فيها كتاب الأعمال عن «هرقل»، إمتلك أمادي قراءة مختلفة ، ففي الوقت الذي لا يوجد فيه أي من شعر «الأعمال » لدى أمادي ، نجد في حوليات البندقي دوبيت ليس في محتويات «الأعمال »،وهي تتحدث عن الأحوال المتأخرة لـ «فيلنغزز Fi-langers »، وقد أقحمت في وسط الرواية،وفي الوقت الذي لم يكن فيه كوهلر شاعراً بالثقة تماماً بأن هذه الفقرة هي خاتمة فيليب حتى ينشرها في مكانها المفترض،وارتضى بأن يضعها في الحاشية،أخذت زمام المبادرة وأعطيت نفسي الحرية في إعادتها إلى خاتمة التاريخ ،ولقد استخدم كوهلر أمادي لضبط نص «الأعمال »،وفي كل مناسبة رددت «الأعمال»كلمات هرقل حرفياً،اعتمد كوهلر على نص أمادي في بنائه لنص فيليب الافتراضي،واعتمدت هذه الترجمة على نص كوهلر،بدون أدنى ملاحظات،إلاّعندمااقتضى الحال اضافة بعض المعلومات الجديرة بالاضافة،فضلاً عن هذا توليت جمع جميع الفقرات المنقولة عن هرقل وهي التي أخرجها كوهلر من نص«الأعمال»،وأثبتها في الملحق الثاني لهذا المجلد.

وبالإضافة لكتاب«الأعمال»وأمادي،هناك عدةكتب أخرى استقت بعض معلوماتها من تاريخ فيليب،وقد استخدمها كوهلر كلها،من ذلك «حوليات أخبار قبرص » تصنيف فلوريوبوسترون Florio Bustron وهوقبرصي صار ايطالياً،وجد في القرن السادس عشر،وقد أسس هذا الكتاب إما مباشرة على تاريخ فيليب أو على «الأعمال»،وقداستقى ماريو سانوتو في كتابه«كتاب الأسرار»المكتوب سنة ١٣٠٧ــ ١٣٢١،بعض المعلومات من فيليب،لكنها معلومات ضئيلة،وإطار معالجتها ضيق،ولها قيمة قليلة،ولادور لها في عمليةبناء النص .

ولقد جرى اعتماد تاريخ فيليب دي نوفار من قبل كل كاتب عالج تاريخ قبرص خلال القرن الثالث عشر،وجاء هذا الاعتماد إما من خلال«الأعمال»وأمادي وبوسترون أو من خلال سانوتو،فلقد اعتمد على واحد من هذه التواريخ كل من :لوردانو Lordano ،وجوانا Ju-ana ،ورينهارد ،Reinhard وماس لاتري،ولوهر Loh-er ،ومولرMuller ،وروهرخت Rohricht ،ولقد استخدم مولر وروهرخت جميع هذه التواريخ،وفقط ايتين Etienne دي لوزغنان،الذي كتب في القرن السادس عشر،يبدو أنه لم يعرف فيليب،ومن الظاهر أنه استقى معلوماته واعتمد في تحصيلها على ميراث أسرته مع معلوماته الشخصية،ومن بين الكتاب الذين كتبوا حول فيليب الثاني نجد أن كل من وينكلمان Winkelmann وكانتوروز Kantorowiez قد استخدما الأعمال ،واعتمد كل من كنغتون Kington وهولارد ـ بريهولزHuillard-Breholles على هرقل،وعرفا فيليب من خلال سانوتو فقط .

وعلى هذا من الممكن أن يعد تاريخ فيليب المصدر الأول للحقبة الأعظم أهمية وخطورة في تاريخ قبرص،وكذلك بالنسبة لميدان أعمال فردريك الثاني الذي لانعرف عنه سوى القليل،ويقدم هذا التاريخ قصة

حـرب رواها فـارس شارك بها،وهـي حرب لم تكـن من النـوع الذي هـزّ أركان العـالم،بل كانـت من الحروب الإقطاعيـة العادية،وتـزداد أهمية لأن فردريك الثاني كـان من بين الشخصيات التي تورطت بها،هـذا ولا يوجد سوى القليل من المصادر التي تعطـي صورة أوضح عن الحضارة المتميزة للدويلات الصليبية و توابعها الإقطاعية ،مما أعطاه فيليب في تاريخه،ففي هذا التـاريخ صـور الإجراءات القـانونيـة ،والسياسـات المتقلبة،والفـردية المتصلبـة ،ولقدأعطتنـا الـدويلات الصليبـة الـلاتينية فـرصـة لدراسـات ممتعـةلـلإقطـاع تحت ضـوء المجهـر،وصحيـح أن الصـور صغيرة ،لكنهـا كـاملة،ذلـك أنـه من غير الممكـن أن يحصـل الإنسـان على صورة دولـة إقطاعية خـالصة أفضل مما توفـره دولة القدس اللاتينية،ثـم أنه لايمكن لإنسان أن يـرى القدس أفضل من رؤيتهـا من خلال تاريـخ فيليب دي نوفار .

٢ــــفيليب دي نوفار :الرجل والمصنف

بـالنسبةلـلايطـالي من القـرن السادس عشر،كـان المثـل الأعلى لرجـل النهضـة هــو«الـرجــل العـالمي»الــذي جمع في شخـص واحــد سمات العالم،والمحارب،والسياسي،والخطيب ،و الـرياضي،والفنان،والأديب ،ولقد عدّ كل من لورانزو الفـاخر،وألبيرتي،وليوناردو،أفضل النماذج لهذا الإنسان المثـالي،فهكذا نظـر إليهـم مـن قبل أهـل عصرهـم والـذين جـاءوا مـن بعدهم،وقام جميـع الأقل منزلة بشرية بإدعـاء الإنتماء إليهم وإلى الحضارة التي أنتجتهم ،ونـادراً ما عزيت أية إشارة تمجيـد إلى الأيام الأبكر ،وإلى الثقافة التي تقدم وجودهـا على عصرهم مباشرة ،أي عصر التنوير،والمعني بهذا العصر الأبكـر الــذي أطلـق عليـه الإنسـانيــون ظلماً اسـم العصر «القوطي»ومـع هذا هناك كاتـب من كتاب القرن السـادس عشر،كان من بين نماذج الإنسـانيين ،هو فلـوريـو بوستـورن،وهـو إيطالي قبرصي،كتـب تاريخاً عـن بلاده ،وقد استخـدم اصطلاح«الـرجل العالمي»وأطلقـه إطراءً

على فيليب دي نوفار،الذي كتب في قبرص في القرن الثالث عشر، ولاشك أن هناك عنصراً من التفاخر الفروسي لدى صاحبنا القبرصي في ما وسم به نوفار، مع شيء من المغالاة الأمر الذي غالباً ما أخذبه انسانيو النهضة، لكن مع هذا أن يقوم عالم من عصر النهضة باطلاق هذه السمة على كاتب من القرن الثالث عشر، هي حقيقة جديرة بالملاحظة، ويزيد من أهميتها أن فيليبَ دي نوفار كان بكل وضوح خصماً للرجل الذي كان حقاً هو «الرجل العالمي» للقرن الثالث عشر، أي الامبراطور فردريك الثاني«Stupos Mundi » .

وفيما يتعلق بفليب دي نوفار، القليل من المعلومات هو المتوفر عنه، وذلك باستثناء ما حدثنا به شخصيا عن نفسه، وظل لمدة طويلة معروفاً على أنه فقط كاتب إحدى الرسائل القانونية، التي كونت «أطروحة القدس»، وفقط احتل في منتصف القرن الماضي مكانة كمؤرخ وشاعر من خلال إكتشاف ثم نشر تاريخه وكتابه «Quatre Ages de homme » .

وكان فيليب قد ولد في حوالي أواخر القرن الثاني عشر، ولعل ذلك كان حوالي سنة ١١٩٥، في مدينة نوفار في لومباردي، ومضى إلى الشرق في سن مبكرة، وكان ذلك سنة ١٢١٨، وكان غلاماً في خدمة بيتر شابي، الذي كان فارساً قبرصياً، ولقد كان بين حاشيته أثناء حصار دمياط، وفي أثناء وجود الفرنجة في دمياط انتقل من خدمة شابي إلى خدمة رالف صاحب طبرية، الذي كان قانونياً شهيراً، ومنه تعلم علم القانون، الاختصاص الذي نال منه فيما بعده وبسببه شهرته، وبهذا الصدد قال فيليب نفسه:

«وحدث أنني كنت لدى الحصار الأول لدمياط مع السير بيتر شابي، وقد تناول السير رالف صاحب طبرية الغداء معه، وبعد الفراغ من الطعام جعلني السير بيتر أقرأ لهما من الرومانسي، وقال السير رالف

بأنني أقرأ بشكل جيد، ومرض السير رالف فيما بعد، فقام السير بيتر بناء على طلب السير رالف، بإرسالي إليه لأقرأ له، وهكذا أمضيت هناك ثلاثة أشهر أو أكثر، وكنت منزعجاً جداً، بالذي توجب عليّ أن أسرّبه كثيراً، ونام السير رالف قليلاً وبشكل سيء، وعندما كنت أقرأ عليه بقدر ما أحب، أخبرني بأشياء كثيرة تتعلق بمملكة القدس، وبالاستخدامات وبالأحجام، وقال: ينبغي أن أتذكر كل هذه الأشياء، وتقبلت أنا، الذي خفت كثيراً من طباعه، كل شيء، وكنت بعد هذا بصحبة مولاي الأسن في بيروت حتى موته، ولقد أخبرني بأشياء كثيرة بكياسته وذلك بناء على طلبي، لأنه لم يقدم قط على الكلام طواعية مثلما فعل السير رالف، وتعرفت بعد هذا معرفة جيدة على مولاي صاحب صيدا، وكان ذلك في بيروت، وفي عكا، وفي قبرص، وأخبرني بأشياء كثيرة عن طواعية بلطفه المعتاد، وبعد هؤلاء الرجال العظماء والحكماء، أمضيت وقتاً طويلاً في المحكمة مع السير وليم فيزكونت والسير أرنيس Arneis والسير وليم دي رايفت Rivet الأصغر، الذي كان محامي استئناف عظيم، وتعرفت في مملكة القدس بشكل جيد على السير نيقولا أنتيوم Anti-aume، والسير فيليب بيسديون Baisdion، الذي كان محامي استئناف عظيم في داخل المحكمة وخارجها».

وانتقل فيليب من خدمة رالف صاحب طبرية إلى خدمة جون أوف إيبلين صاحب بيروت، واستقر في قبرص حيث تزوج، ولابد أن الزواج قد قام قبل عام ١٢٢٦، ذلك أن بالين ابن فيليب كان قد جُعل فارساً في سنة ١٢٤٣، وكان بالين دي ايبلين عرابه، هذا وكان فيليب هو الأول من أسرته الذي استقر في الشرق، وما لبث فيليب أن حصل على مركز له مكانة هامة، حيث أصبح واحداً من أهم مستشاري جون دي إبيلين وابنه بالين، ومن أتباعهما الاقطاعيين، ذلك أن فيليب استحوذ على اقطاع منهما.

والسنوات مابين ١٢٢٩ إلى ١٢٥٣ هم الأكثر أهمية في حياة فيليب وبالنسبة للجزء الأعظم من هذه الحقبة يزودنا تاريخه برواية كاملة، وكان أول بروز له في سنة ١٢٢٩، عندما حاول وكلاء الامبراطور الخمسة في قبرص اغتياله لأنه رفض قبول حكمهم وتمنع عن أداء القسم ليعترف بوكالتهم، وكان في هذه الأونة متملكاً لاقطاعية، وكان قد نال سمعة جيدة في محكمة قبرص، حيث ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالايبلينيين، وكان عندما نجا من وكلاء الامبراطور، التجأ إلى مشفى القديس يوحنا في نيقوسيا، حيث بعث من هناك إلى مولاه بالين دي إيبلين يطلب مساعدته، وشارك فيليب في معركة نيقوسيا، التي قاتل فيها الإيبلينيون في سبيل انقاذه وانقاذ السيدات النبيلات اللائي حوصرن معه، وقاد مجموعة من الجنود ضد وكلاء الامبراطور، وأسهم في تحقيق النصر، (١٤ تموز ١٢٢٩)، كما وقدم فيليب مساعدته أيضاً أثناء حصار ديودامور Dieudamor وكنتارا Kantara، وقد جرح أثناء العمليات حول ديو دامور.

وعندما خطط القبارصة في سنة ١٢٣٢ لرفع دعوى لدى البلاطات الغربية ضد الامبراطور، كان فيليب هو الذي سيحمل دعواهم، وقد منع من الذهاب فقط بسبب استسلام الحامية الامبراطورية، وهي حادثة جعلت الدعوى غير ضرورية، وكان فيليب حاضراً مع جون دي إيبلين لدى التفريج عن بيروت في سنة ١٢٣٢، وذهب مع بالين دي إيبلين إلى طرابلس في سفارة لدى بوهيموند لجذب ذلك الأمير للدخول في الحلف القبرصي، والتحق فيليب بعد هذا بالكتلة الأساسية للقوات القبرصية وذلك بعد معركة قلعة إيمبرت Imbert ، ثم ذهب مع هذه القوات إلى قبرص حيث شارك في مباحثات استسلام قلعة فيما غوستا وقلعة كنتارا، وقد شارك في معركة أغريدي Agridi، وكان واحداً من خمسة رافقوا بالين دي إيبلين في هجومه الخطير على طرف الرابية.

وبعد معركة نيقوسيا وفي أثناء حصار سيرينا منح فيليب حكم نيقوسيا وعهد إليه بالاشراف على الأسرى الذين حجزوا هناك، وكان هو مع أرنيس Arneis صاحب جبلة قد أعدّا شروط استسلام سيرينا في سنة ١٢٣٣، وأخبار السنوات الثلاثة التالية غير متوفرة في رواية فيليب، لكنه عاود الظهور في سنة ١٢٣٦ قرب فراش موت جون دي إيبلين صاحب بيروت، وكان حاملاً للصليب أمام مولاه وهو يموت، وكانت قمة أعمال حياته عندما استطاع في عام ١٢٤٣ اقناع صاحبي بيروت وتبنين والمحكمة العليا للقدس لتأجيل هجومهم على صور حتى يصل الملك كونراد إلى السن القانوني، وإقامة أليس صاحبة قبرص حاكمة لمملكة القدس، وكوفيء فيليب مكافأةجيدة من قبل الملكة الممتنة، التي سددت عنه جميع ديونه، التي وصلت إلى مبلغ ألف مارك من الفضة، ومنحته اقطاعاً يدر عليه مبلغ ألف قطعة ذهبية في العام من موارد عكا، وإثر هذا أسهم فيليب في حصار صور، وعمل بمثابة الحاكم الملكي في تجهيز الاسطول، وكان الوكيل الذي عهد إليه بالعمل على ابرام شروط استسلام قلعة صور.

وهذه الاشارات جميعاً مستخرجة من تاريخ فيليب، ويعتقد بعض النقاد أنه بالغ في إبراز أهمية دوره في هذه الحوادث، هذا ولايوجد سبب للتشكيك في صحة هذه المعلومات، ذلك أن ما من واحد من المصادر الأخرى عزت أياً من الأعمال التي عزاها فيليب إلى نفسه إلى إنسان آخر، فمن المؤكد أن فيليب دي نوفار كان خلال حياة الملك هنري الأول، ملك قبرص واحداً من المستشارين الدائميين للملك، فقد ظهر اسمه على عدد كبير من الوثائق على أنه كان واحداً من أتباع هنري، وبعد وفاة الملك هنري في عام ١٢٥٣، كان فيليب مع غي دي إيبلين وروبرت دي مونتغيو سكارد Montgeuiscard بين الذين أشرفوا على تنفيذ وصية الملك المتوفى، وهذا واضح من خلال رسالة بابوية تاريخها عام

١٢٥٥، جاء فيها تهديد بالحرمان الكنسي للمشرفين على تنفيذ الوصية إذا لم يسددوا العشر المحدد للكنيسة بموجب شروط الوصية، وجاء آخر ظهور لفيليب في وثائق كان هو الشاهد بها على ثلاث منح إلى فرسان التيوتون، قدمها جون دي إيبلين صاحب بيروت، وكان جون ابن مولى فيليب المتقدم ورفيقه، والمقصود هنا هو بالين دي إيبلين، ووردت إشارة إليه في عام ١٢٦٤ في جدل قانوني أمام المحكمة العليا في عكا، على أنه « يعدّ أفضل محامي استئناف في هذا الجانب من البحر»، وبعيد هذا بأمد وجيز، لربما في عام ١٢٦٥، عندما صار في السبعين من عمره كتب الـ «Quatre ages de L'homme »، وبالنسبة لتاريخ وفاته هو أمر غير مقرر، حيث لم ترد إشارات إليه بعد عام ١٢٦٤، ولعله مات بعد هذا التاريخ، ففي سنة ١٢٦٩ ظهر ابنه بمثابة شاهد على وثيقة لهيوج الثالث، ولعله استحوذ في هذا التاريخ على اقطاعات والده التي نالها من التاج.

ورست شهرة فيليب دي نوفار بين معاصريه ورجال بلاده على براعته كمحامي استئناف في المحكمة، وعلى الترتيب الذي صنفه حول الإجراءات القانونية الـ « Livre de forme de plait » أو باسمه الآخر الذي عرف به وهو الـ «Livre a un sien ami »، وهو من أهم الأعمال التي شكلت «اطروحة القدس»، وفي الوقت الذي جاء فيه كتاب فيليب على أنه ليس دراسة في شؤون العدالة، ولايرقى إلى المستوى العظيم لكتاب تلميذه جون دي إيبلين صاحب يافا، الذي تم في سنة ١٣٦٩ تبني كتابه: «Assies de La houte cour » على انه القانون الأساسي لمملكة قبرص، مع هذا من الواضح أن كتاب فيليب كتاب عملي لعرض القوانين وللإجراءات التي اعتمدت في محاكم القدس وقبرص، ولابد من أن تأثير نوفار على إيبلين كان كبيراً، وفي الوقت الذي ليس من الواضح القدر الذي نهله إيبلين من كتاب نوفار، ليس هناك

من شك أنه تعلم القانون منه، وبفضل تعليم فيليب له، امتلك إيبلين حبه لعلم القانون، ويقف نوفار بمثابة حلقة وصل بين «قوانين الضريح المقدس» القديمة، التي عادت للملكة اللاتينية في القدس، التي لابد أنه قد تعلمها من رالف صاحب طبرية، والقوانين القبرصية الجديدة التي وضعها إيبلين، وتختلف قوانين إيبلين في كثير من الحالات عن قوانين ماوراء البحار، وتظهر المقارنة فيما بين القوانين المبكرة المعروفة باسم «القوانين الملكية» وبين كتاب نوفار، وكذلك كتاب إيبلين التطور الذي ألم بقانون القدس، وأن هذا التطور لم يلم بمحتوى القانون فقط بل ألم بطرائق مقاربة القانون، وتعدّ «القوانين الملكية» أقدم مجموعة قانونية وصلتنا من قوانين ماوراء البحار، حيث يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثاني عشر، وهي تحتوي على مجرد بيانات قانونية فعلية، والذي تولاه نوفار هو تأكيد ما هو قانوني، كما عرض كيف ينبغي التماس ذلك، وكتب إيبلين رسالة في علم القانون، وسعى جاهداً لتأكيد الأسباب والمبادىء الراسية خلف القوانين بطريقة جديرة بأحسن علوم العدالة والقضاء.

ويتألف كتاب نوفار من ثلاثة أقسام: في القسم الأول عرض لأحكام الإجراءات العامة التي استخدمت في محاكم ماوراء البحار، وفي القسم الثاني نقاش للأنماط الخاصة من أعمال العدالة، لاسيما التقديرات، والنقاط القانونية المتعلقة بكل قضية، وآراء كبار رجال العدالة حولها، أما في القسم الأخير فبحث في السمات والإحالات المطلوبة للمختص المحترف للقانون، والكتاب هو مرشد للمحامين ودليل من أجل الممارسة الفعلية للقانون، حيث يمكن لمحامي الاستئناف أن يتعلم طرائق تجنب الهفوات أمام المحكمة مع مذاهب الخداع المستخدمة، ولايذكر نوفار أراءه الشخصية حول القوانين، ولا أفكاره حول الاجراءات، بل أقنع نفسه بنقل آراء الآخرين، ولم يقم بأية محاولة لاستخراج أية جوانب

علمية من القوانين أو فلسفة تشريعية، فقد ترك هذا ليتولى صنعه تلميذه الأعظم كفاءة والأكثر شهرة، ولهذه فإن كتاب نوفار— بسبب طبيعته— لم يمتلك قط لا الاحترام نفسه ولامدى التأثير الذي امتلكه كتاب إيبلين، زد على هذا إن ظهور كتاب إيبلين بعد أمد وجيز من كتاب نوفار، حرم هذا الكتاب من المكانة التي كان ربما سيحظى بها ويتمتع بها، ومع أن الأجيال التالية لم تعط قيمة فعلية لكتابة: «Livre de forme de plaut »لقد استمرت سمعة فيليب دي نوفار حية على أنه كان واحداً من أعظم الشخصيات في تاريخ القانون الإقطاعي.

لكن نشاطات فيليب الأدبية لم تقتصر أبداً على ميادين القانون، ولم تنحصر بها مطلقاً، فقد أتيح لفيليب عندما بات في سن متقدمة أن يمتلك الفرصة ليقوم باطلالة على حياته الطويلة والمليئة بالأعمال، وليتذكر حماقات حياته، ولقد أسف لبعض الحماقات، ونتيجة لهذا كتب اطروحته الفلسفة والأخلاقية التي حملت عنوان:

« Les quatre Ages de L'homme » .

وقسم فيليب في هذا الكتاب حياة الانسان إلى أربع مراحل، في كل واحدة منها عشرين سنة، ومنح لكل حقبة سماتها، ففي الحقبة الأولى الطفولة ثم الشباب حيث ينبغي أن يتعلم الانسان من الأسن منه، والحقبة الثانية هي حقبة شباب، وهذه الحقبة بالنسبة لفيليب هي الأخطر لكل من الرجل والمرأة، فالشاب مندفع ونشيط، وسنين الشباب هي سنين الحب، والذنب، والحماقة، وأعمال العنف المتهورة والتمرد، ويعيش الانسان في المرحلة الثالثة في عمره الوسيط من الأربعين حتى الستين، وصور فيليب هذا العمر على أنه عمر الانجازات الحقيقية، فبعدما تعلم الانسان أثناء طفولته، وتعب من حماقات واندفاع الشباب، أصبح جاهزاً لقطف الثمار حتى أقصى قدراته، وهو العصر الأعظم في حياة الانسان، وفيه يجد خيرة فضائله من: حكمة، وإخلاص، وسماحة، وأشياء أخرى،

أما بالنسبة للمرأة فالأمر على عكس الرجل، فالعصر الوسيط يمكن أن يكون أكثر حماقة من عصر الشباب، لأن عدداً كبيراً من ا لنساء يسعين في سنوات نضجهن للحصول على استحسان الشباب، ويسعين لايجاد شباب زائف، والحقبة الرابعة من عمر الانسان هي الشيخوخة، وقد منحت للانسان حتى يتملك الوقت مادام حياً ليتذكر ألطاف الرب نحوه، ولسداد الديون إلى خالقه، ففي سنوات نشاطه كان ميالاً نحو نسيان ربه، ونحو الاستغراق بالأشياء الدنيوية، التي تدفعه نحو إهمال روحه، ويمكن للانسان أن يمتلك في سن الشيخوخة الوقت للاستغفار من حماقاته الماضية ومن ذنوبه، وأن يعد نفسه لمواجهة الموت، فلقد أعطي الانسان هذا السكون الأخير، والحزن، والوحدانية، عندما يمكنه أن يتطلع إلى ما وراء القبر، إلى الحياة القادمة، وختم فيليب كتابه هذا ببحث حول فضائل التسامح، والمساعدة، والشجاعة، والشرف، وهي سمات مطلوبة ومرغوب بها وبوجودها في الإنسان، وهذا الكتاب نوع من أنواع كتابات الشيوخ عندما يصبحون متدينين بعمق، وأخلاقيين في أواخر أيامهم، وهو خلو تماما من الاشراقات، ومن طعم الفكاهة، وهو ما نجده متوفر هنا وهناك في تاريخ فيليب، وهذا الكتاب هو عمل رجل قانوني بات شيخاً مسناً، رجل كان في سنوات شبابه يدرب المحامين الشباب ويعلمهم كيف يرافعون أمام سدة المحكمة العليا للملكة، أما الآن ففي سنوات الشيخوخة قد أراد أن يوجه الشباب ويعلمهم الوسائل التي يحضرون بها مذكراتهم للمرافعة أمام سدة محكمة مملكة السماء.

وفيما يتعلق بكتابات فيليب الأخرى، بقي عنها النص المترجم التالي، وقد ورد في كتاب «الأجيال الأربعة»، فهنا وصف فيليب بنفسه هذا الكتاب حسبما كتب بالأصل:

«لقد كتب فيليب دي نوفار، الذي كتب هذا الكتاب، كتابين آخرين،

وقد كتب في جزء من الكتاب الأول ما يتعلق بنفسه، فهناك تحدث عن البلد الذي جاء منه، وبين لماذا وكيف جاء عبر البحر، وكيف قاد نفسه بنعمة من الرب لمدة طويلة، وجاء إثر هذا عدة تراتيل وأغان هو نفسه قد نظمها حول الحماقات الكبيرة لهذا العالم التي ندعوها باسم الحب، وهناك أيضاً الأشعار التي نظمها حول الحروب الكبيرة التي وقعت في أيامه، فيما بين الامبراطور فردريك، وصاحب بيروت، مولاي جون دي إيبلين الشيخ، كما قدم رواية رائعة جداً عن هذه الحرب نفسها من بدايتها حتى نهايتها، وأودع هناك كلمات وأفاعيل المؤتمرات الكبيرة والمعارك والحصارات، مرتبة منظمة، لأن فيليب كان موجوداً خلالهم جميعاً، ويوجد هناك بالإضافة إلى ذلك أغاني وتراتيل لسيدتنا وللقديسين، التي نظم الكثير منها في شيخوخته، وكتب هذا الكتاب بغية حفظ هذه الاشعار وأخبار أعمال الشجاعة لهؤلاء السادة الجيدين، ولكي تبقى أطول مدة في ذاكرة الذين انحدروا منهم ومن الأصدقاء الآخرين، وفي ذاكرة جميع الذين سوف يسمعونهم».

وتبعاً لما أورده هنا، كان التاريخ على هذا قسماً من كتاب كبير تضمن مايلي: (١) سيرة ذاتية؛ (٢) أشعاراً في الحب؛(٣) أشعاراً حول الحرب، (٤) تاريخ الحرب، و (٥) أشعار اً دينية، ومن هذه الأشعار فقدت أشعار الحب و أشعار الدين كليا، أما التاريخ و معظم أشعار الحرب فقد حفظت في أخبار أعمال الحرب، و لعل جزءاً صغيراً من السيرة الذاتية قد دمج في القسم الأول من « الأخبار » .

و يشكل غياب أي نص أصيل مشكة تاريخ تصنيف « التاريخ » و يجعل ذلك صعباً جداً، وكان بول رختر Richter ، و هو أول من حاول حل مشكلة تاريخ الكتاب، قد توصل إلى محصلة إلى أنه قد كتب على قسمين، فقد كتب القسم الأول قبل ١٢٤٧، و كتب الثاني بعد ١٢٥٨، و تقوم هذه النظرية على فكرة أن فيليب كتب أولاً رواية

مستقلة حول الأحداث المبكرة، ثم إنه بعدما اطلع على « هرقل » و على « حوليات الارض المقدسة »، أعاد النظر بماكتبه و نقحه وأكمله بتضمينه مواداً استقاها من هذه المصادر، و أشار غاستون الباريسي إلى أن فيليب لربماكتب التاريخ كله في وقت واحد ، ثم أعاد النظر فيه و نقحه فيما بعد، وضمنه الاشارات الواردة حول الأحداث المتأخرة ، الأمر الذي دفع رختر إلى القول بأن الأجزاء الأخيرة قد كتبت في زمن متأخر، وأظهر غاستون الباريسي أن النقول من « هرقل » و من «الحوليات» قد أضيفت من قبل مصنف « الأعمال » و ليس من قبل فيليب نفسه، و ذلك بسبب أن هذه النقول غير موجودة في أمادي ، و قادت أبحاث كوهلر صاحبها إلى المحصلات نفسها التي كان غاستون الباريسي قد وصل إليها ، و كان رأيها الأخير هو أن التاريخ قد كتب فيما بين ١٢٤٣و ١٢٤٧، و نقح فيما بعد، و لعل ذلك كان بعد سنة ١٢٥٤، لا بل حتى بعد سنة ١٢٥٨ .

و بما أن التاريخ يحتوي على أخبار أحداث وقعت خلال عام ١٢٤٣، من البداهة بمكان أنه كتب بعد هذا التاريخ ، لكن بما أنه أسقط كل إشارة إلى كل من تولية بالين دي إيبلين لوكلاء الامبراطور في ١٢٤٦ — ١٢٤٧، أو موته في سنة ١٢٤٧، لابد أنه قد كتب قبل وقوع هذه الأحداث ، و قد كان بالين أقرب أصدقاء فيليب إليه ، ثم إنه كان مولاه المباشر، و على هذا مستبعد عدم إقدام فيليب على ذكر مثل هذه الأحداث الهامة في حياته، هذا من جهة و من جهة أخرى كان فيليب قد أتى عرضاً على ذكر عدد من الألقاب و الوظائف التي شغلها أعضاء في البيت الإيبليني، لكن فقط الألقاب والوظائف التي شغلوها بعد ١٢٤٧، وجاءت الاشارات إلى جون دي ايبلين الأصغر ،عندما غدا في حقبة متأخره، صاحب يافا و هو اللقب الذي ناله للمرة الأولى في سنة ١٢٤٧، و أشير إلى غي بمثابة قسطلان لقبرص، وإلى بلدوين بمثابة

مفوض للجيش في قبرص، و لقد شغل هـذان هاتين الوظيفتين فقط بعد عام ١٢٤٧، ووردت إشارة إلى جون دي إيبلين صـاحب أرسوف على أنه قسطلان القدس، وهو قد أصبح كـذلك في عام ١٢٥١ فقط، كما وتسلم عدة مـرات منصب معـاون قاضي المملكـة، فقد تملـك هذا المنصـب في ١٢٤٧ - ١٢٤٨، و ١٢٤٩، و ١٢٥٤ و ١٢٥٦ - ١٢٥٨، وقد كتبـت هذه الإشارات بقصد الرفع من شأن مختلف شخصيات الإيبلينيين، وهي ليست جزءاً مـن التاريخ أو متعلقة به، ويستخلص مـن هذا بينة على أن فيليـب قد أعـاد النظـر في عمله في وقـت مـا بعـد سنة ١٢٥٤ أو سنـة ١٢٥٨، ونقح روايته، لكن ليـس عن طريق إضافة مـواد جديدة تتحدث عن أحـداث جديدة بـل مجرد تعريف بـالشخصيات التي ورد ذكـرها في تـاريخه بألقـابها الأخيرة فقط، وعلى هـذا كتـب النص الأصيـل قبل سنـة ١٢٤٧، أي بعيد عـدة سنوات تلـت آخر الأحـداث التي ورد ذكـرها في آخره .

٣ — *تقويم لتاريخ فيليب دي نوفار*

من غير الممكـن عدّ كتـاب « تاريـخ الحرب بين الامبراطور فـردريك الثاني وجون دي إيبلين» قطعـة عالية المكانـة في الأدب التأريخي، فهو لا يحتوي على أي فلسفـة معمقة للتاريـخ، ولا حتى على أية أحكـام مسبقة في محاولة لتقرير أسبـاب الأحداث، ووصف فيليب نفسه عمله بقـوله إنه مجرد رواية حـول الأسباب الحقيقـة للحرب :« و كذلـك حول الـرجال و الأفاعيل العظيمة »، لكنه عرض الأسبـاب من خلال وجهة نظر منحازة، و تتعلـق قيمة الكتـاب و أهميتـه بسماتـه أنه روايـة واحـد مـن الغولـف Guelph السوريين، و لأنـه يحتوي على روايـة صحيحة حـول الأحداث التي وقعـت، يضاف إلى هـذا إن الكتاب يعبر عـن موقـف فيليب ضـد الحزب الامبراطوري في الشرق، مع إطـراء للبيت الايبليني الذي أكـد أنه « لايوجد بيت أعظـم منه في كل العالم المسيحي» و فوق هـذا كله كتاب

سيرة ترجم فيها فيليب لوا حد من كبار الأبطال الاقطاعيين، و هوصاحب بيروت العجوز .

وكتب فيليب دي نوفار من منطلق فردي مدهش، و فقط المسائل التي لها علاقة مباشرة بموضوعه المختار من الحرب بين الامبراطور و الإيبلينيين وجدت مكاناً لها على صفحاته، فهناك قضايا و أحداثاً رئيسية مثل صليبيةثيبوت أوف شامبين ورتشاد أوف كورنوول، التي وقعت في الإطار الزمني لتاريخه قد حذفت كلياً وأسقطت من رواية فيليب، و في السنوات التي لم يكن فيها من شيءيؤثر بوقائع الحرب، لم يتحدث فيها فيليب عن شيء أبداً، و هكذا نجد سنوات ١٢٣٤ — ١٢٣٥ و ١٢٣٧ — ١٢٤٠، لم تدون، و ذكرت سنة ١٢٣٦ فقط بسبب موت صاحب بيروت، زيادة على هذا لم يقل فيليب شيئاً عن أمور كانت قد حدثت أو لم تكن قد حدثت بعد، في الزمن الذي كتب فيه، من ذلك النقد البابوي للإيبلينيين، و جهود الكرسي المقدس في سبيل الحصول على سلم موافق للامبراطور، فهذا ما أسقط، و مثل هذا أسقط أيضاً خبر السلم الذي تحقق، مع تقبل القبارصة في إطار الحظوة البابوية، و لم يكن لهذه الأحداث من آثار على النتيجة النهائية، و لقد مرّ بهم فيليب مرور الكرام، ربما لشعوره أنه لم يكن فيهم فائدة للكنيسة، و من الأفضل نسيانهم، و لعل من أفضل الأمثلة عن عدم تقدير فيليب للمسائل ذات العلاقة، يمكن إيجاده في رواية فيليب عن حملات فردريك في سورية، و معاهدة يافا لعام ١٢٢٩، و كانت بعض الروايات عن أعمال الامبراطور في سورية من الضروري إيرادها لربط أحداث قبرص مع بعضها بعضاً، وهي الأحداث التي وقعت قبل الحملة الصليبية و كذلك ما حدث بعدها، و هكذا روى أخبار الحملة الصليبية في فقرة صغيرة واحدة،كما أن روايته عن معاهدة يافا فقصيرة و غيركاملة، لكنه لم ينتقدها على أنها عمل غير مسيحي كما فعل البطريرك

جيرولد Gerold، ثم إن الشروط التي أتى على ذكرهـا و تعدادها فكانت فقط ماله أعظم الفوائد بالنسبة لمملكة سورية .

و لم يكـن هجوم فيليـب، مـوجه ضـد فردريـك شخصيـا ، فالفصـل الـوحيـد في كتـاب «الأعمال» الـذي فيـه حملات افتراء وقـذف بحـق الامبراطور — الفصل ١٠٢ — ليـس من صنع فيليب، بـل مقحم جرى إقحامـه من قبل واحد مـن المصادر الغربية، فليـس فردريك بل بـرلياس Barlias و فيلنغـر Filanger هما الأشرار في تـاريـخ فيليـــب، و رسمـت صـورة فيلنغر على أنـه لم يكـن منطقيـا، و كـان طـاغية خـارقـاً للقانون، لكـن صوت فيليب ليس أكثـر ارتفاعاً في نقد وكيـل الامبراطور هذا مـن صوت صـاحب كتاب «هـرقل»، و يبدو أن فـردريك نفسـه قد لاحظ أخطاء وكيله، فتـولى سجنه لدى عودته من سوريـة، وكان برلياس — رينارد Rinard الشعر — شريـراً حقا، فقـد كان يـدين بـالكثير للإيبلينيين، فقد استقبل مـن قبلهم و نال حظوتهم ، و قد تظاهـر خداعاً بحبهم و صداقتهم، لكنه تولى خيانتهـم في كل مناسبة بشكل شرير جداً، و لم تعبـأ مؤامـرات بـرلياس و خساستـه مـع رفـاقه بشرف و شجـاعـة الإيبلينيين .

و في هذا المقام يتوجب علينا أن نلاحـظ أن عداء فيليب نحو برلياس، قـد قـاده نحـو تفسير ابتعـد بـه عـن طـريـق الحقيقـة المطلقـة، فـالحزب الامبراطوري في قبرص قد تكـوّن ليس من أدنياء منحطين كلهـم، بل من سادة من خيرة أسر ما وراء البحر، فبرلياس نفسـه قد جاء من أسرة قديمة لها قرابات جيـدة، و كانت أسر:بيسان وجبلـة، و بورسليت Porcelets، ودي ريفيـت Rivet وشينـارات Chenartجميعـاً أسراً نبيلـــــة لها سمعتها الطيبة، و ضم الحزب الامبراطوري في سورية أعظم القادة لذلك الحين أمثال : بـالين صاحـب صيدا، و يـودس دي مونتبليـارد Eudes Demontbeliard، وغـارنييرالألماني، و أسراً أخـرى، كثير منهـا أنفسهـا كانـت من أقرباء أسرة إيبلين، وقـد أيدت هذه المجمـوعة نيابة فـردريك

عن الملك كونراد، غير أنها ارتبطت بالإيبلينيين عندما دفعتهم نحو هذا الأعمال اللاقانونية للوكيل الامبراطوري رتشارد فيلنغر، و بوهيموند صاحب أنطاكية، و أعظم أمير محلي في بلاد ما وراء البحار بعد ملك القدس نفسه ، كان مؤيداً امبراطورياً، ولم يتعاون قط مع الحزب القبرصي، و تولى فيليب عرض الجانب الإيبليني من مجمل الصورة، و بالنسبة لوجهة النظر الامبراطورية كان الإيبلينيون و أعوانهم فئة متمردة، كانت تسعى للاحتفاظ بسلطة غير شرعية على مملكة قبرص، محاولة التستر خلف شرعية مغلوطة و امتيازات فردية، وتمردهم ضد مولاهم الشرعي و سلطانهم واضح تمام الوضوح في بينات معللة وردت في ثنايا الاشارات إلى الشؤون الشرقية في تاريخ رتشادر أوف سان جرمانو ولدى مؤرخين آخرين .

و بصرف النظر عن سمات رسالة فيليب الغولفية Guelph وكذلك روايتة التاريخية، إن كتابه أشبه بالملاحم، أو بالحري هو ملحمة حول بطل عظيم،هو جون دي إيبلين العجوز، صاحب بيروت، فلقد أضفى فيليب عليه جميع الفضائل، فبات سيداً حقيقياً، مما يدفع الانسان الى التفكير بأن فيليب رأى وهو في سنه المتقدم، في مولاه السالف المثل الأعلى لجميع الفضائل، ومنه استقى الفضائل التي أثنى عليها في كتابه الـ «Quatre ages » ، ذلك أن السمات التي تجلت في كل من أحداث حياة جون دي إيبلين هي : الشجاعة، و الشرف ، و الأمانة، و التقوى، و كبح الإنفعالات، و العدالة، والعفو، واللطف، وإذا ماأزحنا جانبا حتى ظاهرة عبادة البطل عند فيليب، يقف صاحب بيروت بارزاً و كأنه صنع من جبلّة بطولية ،وكان في كلماته دوما — حسبما روى فيليب ـ توازن رفيع من المرونة،والقوة، وقد انتهى جوابه المنطقي لفردريك في ليماسول بالعبارة الرنانة التالية :«وتأكد أنه بالنسبة للخوف من الموت أو السجن أنا لن أفعل شيئاً سوى ما سيطلبه قرار

المحكمة الجيد و المخلص مني أن أفعله»، و عندما أراد الإيبليني أن يعبر بشكل فعّال و دقيق عن عدم ثقته بالإمبراطو ر وبوعوده، لم يلجأ إلى النقد المباشر لخصمه، بل عبر عن فكرته بقوة أعظم بضربه المثل بالوعل الذي ليس لديه قلب، وهناك تشابه عظيم بين كثير من نصوص رواية فيليب و سمات الأفراد الذين تولى وصفهم في كتابه عن حياة جون أوف إيبلين و بين ما ورد في كتاب جوانفيل عن حياة القديس لويس، فقد مثل كل من الملك الفرنسي و اللورد القبرصي أسمى أشكال تطور الشخصية الإقطاعية، فكلاهما كانا سيدان لطيفان قد حظيا على كثير من حب و إخلاص شعبيهما، و كان كل منهما مستقيماً و متديناً و منطقياً، وقد حظيا بمن يترجم لكل واحد منهما في رجلي عمل أعجبا بهما و كتبا عن حياتيهما بغية أن تعرف الأجيال المقبلة سمات الرجلين اللذين افتخرا في دعوتيهما موليهما.

و لم يكن كتاب فيليب أقل قراءة و متعة من كتاب جوانفيل، لابل يمكن القول إنه تفوق في إحدى النقاط على منافسه،لأن فيليب امتلك حساً مبطناً وجافاً بالفكاهة، تغلغل خلال روايته، و الشاهد الأكثر وضوحاً هو المشهد في محكمة نيقوسيا عندما جرى اعتقال فيليب من قبل وكلاء الإمبراطور ، فقال : إنه لايمكنه الاتفاق مع اقتراح صاحب جبلة في أن يقتل،«وأن والده السير برتراند قد تكلم مراراً بحكمة أكثر»، وهناك أيضاً لمسات أخرى كثيرة ، هي أقل وضوحاً، لكن ليست أقل بروح الفكاهة، من ذلك الإشارة إلى «الخروف ذي الأذنين الطويلتين» ، الذي أكله المحاصرون في ديودامور، ووصف سمات مختلف الشخصيات في قصائده عن الـ Branche العائد لـ «رينارد»

وبالنسبة لهذه القصائد لاتوجد حاجة للحديث عنها هنا،ذلك أنها تستحق دراسة خاصة،وقد عدّت هذه القصائد في بعض الأوقات قصائد رائعة،ونظر إليها في بعض أوقات أخرى على أنها سيئة

الـوزن،وهـي في كثير مـن الأحيـان واضحـة،وفي بعضهـا ــ كما الحال في القصيدة الأولى ــ غامضـة بشكل يـائس،وهذه القصـائد هامـة كوثـائق تـاريخيـة،لأنها تظهـر ردات فعـل فيليب المبـاشرة نحـو الأحـداث لـدى وقوعها، و ينبغي أن يـلاحظ أنه بالنسبة لقضية سجـن بالين في ليماسول، أزعـج مـرور الوقـت ذكـريـات فيليـب بشـأن مصاعـب هـذا السجـن ووحشيته،ولم يزلها .

وعلى هذا يعدّ كتـاب فيليب كتاباً منحـاز التوجه،لكنه مـع هذا مترفع فوق مستوى التـوجه الإنحيازي بسبب دقته وصحته في عـرضه للحقائق، ولتركيـزه على السمات الحسنة لـدى بطله ، فلقـد رغـب فيليب أن يبقـي لمستقبل الأيـام حياة صديقـه القديـم، ومولاه، مع ذكـر الأعمال العظيمة لحزبـه، وهو في الحقيقـة حين سعى لتخليـد ذكـرى نجاحـات الآخريـن تمكن من تخليد نفسه .

٤ــ صليبية فردريك الثاني و الحرب ضد الإيبلينيين

وفيما يتعلق بتـاريخ فيليب دي نوفـار إنه يقدم رواية عظيمـة الإنحياز المسبق ضـد أهداف وسيـاسات فـردريك الثـاني في الشرق ، وهي تـروي أخبـار الأحداث في الصراع ضـده فقط مـن وجهة نظـر الذيـن كانـوا في حـالة حـرب ضـده ، ولهذا إن تقديـم عـرض مختصر لصليبيـة فردريـك وللصراع الذي نجم عنها، لائق تماماً بهذا المدخـل، وسيكون هذا العرض أفضـل صـورة للأحـداث يمكـن الحصـول عليهـا ، فلقد كتـب فيليـب بطريقة مقنعة إلى حد أنه إذا لم يكن القارىء حذراً، سيجد نفسه مشاركاً فيليب في أحكامـه المسبقة، وداعماً للاتجاه المعادي لـلإمبراطور، و منحازاً إليـه تمام الإنحيـاز، ولهذا ولكي نصحـح فيليـب، ومـع الرغبـة «لإعطـاء الشيطان ما يستحقه» جاء إدخال العرض التاريخي الموجز هنا :

أ ــ بدايات الحملة الصليبية، ١٢١٥ـ ١٢٢٨

في ٢٥ـ تموز ١٢١٥، وفي الكنيسة الكاتدرائية في آخن، حمل فردريك الثاني الصليب، وكرس نفسه لصالح قضية الحرب المقدسة ضد المسلمين، وجاء هذا إثر تسلمه لتاج المملكة الألمانية من يدي سيغفرايد Siegfried رئيس أساقفة مينز، وحرض أتباعه على أن يكونوا مثله فيكرسوا أنفسهم في سبيل إنقاذ الأماكن المقدسة، ولقد كان هذا استعراضاً احتفالياً رائعاً، فقد رفع الهوهنزتوفني ثانية راية الصليب التي حملها كونراد الثالث وفردريك بربروسا، وجدد أمجاد شارلمان، وأمجاد ذلك السيف الذي هو سلاح المسيحية ، والذي رؤيت أسطورته الشعبية في الحملة الصليبية الأولى، وهو الذي تولى تطويبه بشكل مهيب من قبل فردريك الأول في هذه الكنيسة نفسها، وتوفر لدى البابا انوسنت الثالث السبب ليبتهج تجاه روح مولاه، ولأن يشعر أنه سيحقق بوساطة فردريك الثاني هذا (الذي سماه والداه أولاً باسم قسطنطين) الوصول إلى النتائج التي أخفقت كل من الحملة الصليبية الثالثة والحملة الصليبية الرابعة في تحقيقها .

وغادرت الحملة الصليبية الخامسة في ١٢١٧ متجهة إلى الشرق حسبما كان مخططاً لها، لكن الملك الشاب لكل من ألمانيا و صقلية لم يكن بين أفرادها، واستولى الصليبيون على دمياط، وتقدموا فوق مياه النيل ، فواجهوا هزيمة ساحقة عند المنصورة ، و تركوا خلفهم عدداً كبيراً من حشدهم ميتاً أو أسيراً في مصر، ثم عادوا إلى الوطن، و تسللوا إليه و هم مدمرين تماماً، و كان فردريك ما يزال يؤخر مغادرته، و تقبل البابا هونوريوس الثالث ــ الذي خلف انوسنت على العرش البابوي في سنة ١٢١٦ـ تسويغات فردريك ، ومنحه موافقات متكررة على التأخير من سنة ١٢١٧ حتى سنة ١٢٢٢، ورفع قادة الحملة الصليبية الخامسة، التي كانت سيئة المصير، أصواتهم عالياً في توجيه اللوم إلى فردريك لتوانيه في تقديم الدعم لهم، و أمر البابا بعقد مجمع عام ينعقد في فيرينتينو Fe-

rentino في آذار سنة ١٢٢٣، حيث تقرر مناقشة خطط صليبية جديدة فيه، و كان بين الذين حضروا هذا المجمع الكاردينال بيلاغوس، الذي كان النائب البابوي الذي تولى قيادة الحملة الخامسة، و الذي يعود إليه بالفعل سبب الإخفاق المأساوي لتلك الحملة، و حضر كذلك الملك جون بريين صاحب القدس، ورالف بطريرك القدس ،وهيرمان فون سالزا Salza ، المقدم الأعلى لفرسان التيوتون،مع مقدمي كل من فرسان الداوية وفرسان مشفى القديس يوحنا،وقد اجتمع هؤلاء مع البابا هونوريوس والملك فردريك،وتم التوافق في هذا المجمع أنه يتوجب عدم القيام بأية محاولة عمليات عسكرية لمدة سنتين، كما تم ضمان مصالح فردريك الشخصية في مصير المملكة السورية،على أساس الاتفاق،ومن ثم إقدامه على الزواج من ايزابل دي بريين ابنة الملك جون و الوارثة لعرش القدس من خلال أمها ، وأعد فردريك خططاً معلنة من أجل مغادرته في العامين المقبلين،لكنه في عام ١٢٢٥،عندما كان عليه المغادرة وجد نفسه مرة ثانية غير قادر على المغادرة،وطلب من البابا منحه فسحة للتأخير مرة أخرى حتى سنة ١٢٢٧،ومنحه البابا المتورط ذلك،وبدلاً من أن يقود فردريك جيشه الى الشرق، قام في آب ١٢٢٥ بإرسال أسطول مكون من أربعة عشر غليوناً الى عكا،وحمل هذا الأسطول جيمس أسقف باتي،الذي كان يعمل بمثابة وكيل له لكي يتولى خطبة الأميرة ايزابيل، وجرى الزواج في كنيسة الصليب المقدس في عكا،وبعد مراسم الزواج حملت الملكة الشابة إلى صور،حيث جرى تتويجها في الكاتدرائية بشكل مهيب ملكة على القدس، وذلك بحضور رالف،بطريرك القدس،وسمعان رئيس أساقفة صور،ويودس دي مونتبليارد الذي كان قسطلان المملكة ونائبها،وبالين صاحب صيدا،وولتر صاحب قيسارية،وجون دي ايبلين صاحب بيروت، وعددكبير آخر، واستمرت الاحتفالات والأعياد بعد التتويج هناك لمدة خمسة عشر يوماً في مدينة صور،ثم توجه معها من هناك نحو الغرب

بمثابة حرس شرف:جيمس دي فيتري،أسقف عكا،وبالين صاحب صيدا،ويودس دي مونتبليارد،وسمعان رئيس أساقفة صور،ودانيال دي تيراموند،وعددكبير آخر من لوردات سورية،وقد نزلوافي برنديزي في شهر تشرين الأول وفي ٩- تشرين الثاني تزوجت الملكة ايزابيل من فردريك شخصياً.

وما أن جرى انجاز الزواج حتى بادر فردريك إلى طلب تاج القدس من ختنه الملك جون مؤكداً على أن ايزابيل ملكة بموجب حقها الشرعي، وأن زواجها قد أنهى بشكل آلي نيابة جون عنها، واحتج جون ولكن بما أنه كان حصل شخصياً على عرش القدس بزواجه من الملكة،لذلك لم يكن بإمكانه إبداء مقاومة شديدة، ومع هذا أصر على أنه كان من بين شروط اتفاق الزواج أن يحتفظ بتاجه طيلة حياته، لكن فردريك رفض هذا، وتجاهل إلتماس جون الذي رفعه إلى البابا،وجعل نفسه يتوج ملكاً للقدس،وقام البارونات السوريون الذين رافقوا ايزابل إلى ايطاليا بالإعتراف فوراً بفردريك ملكاً عليهم، وقدموا الولاء له، وقام الامبراطور على الفور بإرسال أسقف ملفيMelfi إلى الشرق ليضمن الحصول على ولاء البارونات في سورية، وذهب معه الكونت بيرناردو جنتايل أوف ناردو Berardo Gentile of nardo ،والكونت ستيفن أوف كوترون Cotron ، وقوة مؤلفة من ثلاثمائة فارس، لتكون شحنة في البلاد باسم الامبراطور، ويودس دي مونتبليارد،القسطلان الذي شغل وظيفة النائب أثناء غياب الملك جون وكان سوف يتابع العمل في الوكالة حتى قدوم الملك شخصيا الى سورية .

ومع أن البابا رفض الاعتراف بفردريك ملكا على القدس، واستمر في إضفاء ذلك اللقب على جون دي بريين، نجد أن بارونات القدس قد بادروا بالفعل بقبول فردريك ملكاً بحكم كونه زوجاً للملكة مريم،ثم

بعد موتها،نـائباً لابنتيها ايزابل،لكـن بزواجها وبتتويجهـا في صور صارت ايـزابل ملكـة بنفسها للقـدس،وتبعـاً لهذا لقد حملـت اللقب الملكـي الى زوجها، وإذا ما التزم فردريك بقانـون المملكة الذي قضى بوجوب ظهور الحاكم في حدود سنة ويـوم بعد وراثته المملكة ليطالب بميراثـه،لن يكون هناك اعتراض قانوني عليه كملك للقدس.

وتمت اعـدادات كبيرة للحملـة الصليبيـة التي تقـرر اقـلاعهـا في آب ١٢٢٧، ووصلت الجيـوش من ألمانيـا إلى برنديـزي تحت قيادة اللنغـريف لـــويـــس أوف ثـــورنجيـــا Thuringia ،والـــدوق هنـــري أوف ليمبيرغLemburg،وجـاء أربعون ألفـاً من الانكليـز تحت قيادة أسقـف إكسيترExeter وأسقـــف ونشستر ، وهـــو بيتردي روشي Roches المشهور،وتجمعت الحشود الصليبيـة من لومبارديا ومن أبـوليا،ومن صقلية ومـــن أقـــاصي ألمانيـــا في ذلـــك المينـــاء الحار وغير الصحـــي،في حّـــر الصيف،وجرى إرسال الكـونت توماس أوف أسيرا Acerraأمام القوات ليعمل في سورية نائباً للامبراطور حتى وصوله شخصياً.

ومـع أن فـردريـك قـد أعلـن فيما بعـد، أنـه تـولى الإيفـاء بجميـع الـواجبـات والتعهـدات التـي قطعهـا على نفسـه فيما يتعلـق بـالحملـة الصليبية،وجـد الحشد الـذي وصل الى برنـديزي أن الأوضـاع غير مهيأة، وأن العـدد الكـافي مـن السفـن لحمـل هـذا الحشـد الهائل لم يجهـز،وأن الامـدادات سيئـة الاعـداد، وأن الأحـوال الصحيـة في المعسكـر كـانـت تعيسة، وكـانت مـوارد المؤن والإقامـة غير كافيـة، وفي حر صيـف أبوليـا سقط المحاربـون الشماليون ضحايا للطـاعون ومالبث فتـك المرض وقيام عدد من الوحدات بالتخلي عن الجيش أن أنقص العدد كثيراً.

وتم أخيراً في الثامـن من أيلول لعام ١٢٢٧،اقلاع الامبراطـور،وبذلك بدأت الحملـة الصليبية بالفعـل،لكن الطاعون الـذي كان قد دمـر عدداً كبيراً من الجيش لم يوفـر أحداً حتى أن صاحب الجلالة الامبراطـورية قد

أرغمتـــه أوضـــاعـــه الصحيـــة السيئـــة على العـــودة الى مينـــاء أوترانتوOtranto،وذلك بناء على نصيحة فون سـالزا وجيرولد، البطريرك الجديد للقدس، وفي أوترانتـو مات لويس أوف ثورنجيا،وبعـث فردريك على معظـم سفـن الأسطـول بثمانمائة مـن الفـرسـان وبعشرة آلاف مـن الرجّالة، وذلـك تحت قيادة دوق ليمبورغ، وأجل البطريرك جيرولـد موعد مغادرته حتى تتحسن صحته.

لكن البـابا هـونوريـوس الثالـث المهادن لم يعـد مستحوذاً على عـرش بطـرس، فقـــد تـــوفي في ١٨ ـــ آذار ١٢٢٧، وخلفـــه الكـــاردينـــال أوغولينوUgolino أوف أوستيا، وكان رجلاً عجـوزاً، لكنه تمتع بنشاط مـدهـش،وقد تبنـى اسـم غـريغـوري التـاسع،ولتصـوره نفسـه على أنـه غريغـوري سابـع آخر، دعا إلى عقـد مؤتمر آخر حـول مسألـة الإمبراطور المرتد، ثـم ما أن سمع البـابا العجوز بعودة فـردريك حتى أصـدر بحقه حرمانـاً كنسياً، وسوغ عمله هذا بشروط اليمين الذي أقسمـه فردريك في سان جرمانو.

وتوفـر بالفعـل بعض التسـويغ في عمـل غريغـوري، في ضوء سجـل أعمال التأجيل المتكررة لفردريك، لكن الـذي لم يعرفه البابا هذه المرة هو أن فـردريك كـان مخلصاً بـالفعـل في خططه للمغـادرة إلى سوريـة، وأن الظروف التـي تجددت جعلت الإبحـار في عام ١٢٢٧ مرغـوباً فيـه من وجهة نظر الإمبراطور بشكل خاص.

وكان الوضـع السياسي منذ عام ١٢٢٥ متـأزماً وحساساً، فقـد انشغل الأميران الأيوبيـان: الملك الكـامل محمـد صاحـب مصر، والملك المعظـم عيسى صاحب دمشق، في حرب أخـويه من أجل السيطرة على فلسطين، وحـاول منذ ١٢٢٥، المعظـم الإطاحـة بخصمـه، وقام الكـامل بـالشروع بأعمال انتقامية مـن المعظم، فتحالف المعظم مع سلطـان خوارزم، و بناء عليه انطلق الكامل يبحث عن حليـف يوازن الحلف الذي تشكل ضده،

فكان أن بعث في سنة ١٢٢٦ سفارة إلى فردريك يسأله الإتحاد معه ضد دمشق، وعرض مقابل ذلك وثمناً لمساعدته : القدس وعدة مدن فلسطينية كانت بيد المعظم، وصار إذا ما توجهت صليبية فردريك ضد دمشق، فإن التحالف عرض على فردريك منافع كثيرة، وبناء عليه دخل فردريك في مباحثات مع الملك المصري، وجرى تبادل الرسائل وتطور العمل تطوراً كبيراً عندما شرع فردريك في عام ١٢٢٧ بالإقلاع، لكنه أرغم على العودة، وعلى هذا يمكن القول إن التأخير كان مزعجاً بالنسبة للامبراطور مثلما كان بالنسبة للبابا، ذلك أن فردريك كان بالفعل راغباً بالذهاب إلى فلسطين لاسترداد أراضي مملكته هناك، ولم يعبأ فردريك بانتقادات ولوم البابا الساخط ، الذي أعلن أنه لن يتمكن من الذهاب في حملته الصليبية حتى يرفع عنه الحرمان الكنسي، فلقد تابع فردريك بكل هدوء تنفيذ خططه من أجل المغادرة إلى الشرق، وعرض أن يقوم بتنفيذ أية عقوبة يمكن للبابا أن ينزلها به،لأنه أخفق بالمغادرة بالتاريخ الموعود، وبين أنه قد تولى تنفيذ جميع الشروط التي قطعها على نفسه بالنسبة للحملة الصليبية، وأن مرضه لم يكن بيده، وأن المصاعب في برنديزي لم يكن هو سببها، وكانت فوق طاقته، وتجاهل غريغوري شكواه وحاول جاهداً وضع كل عائق في طريقه، واخترع تهماً مزيفة ومثيرة للسخرية ضد فردريك، من ذلك أنه قد دس السم للندغريف لويس، وابتعد تماماً عن موضوع الحملة الصليبية لدى انتقاده لسياسات الامبراطور نحو الدول البابوية ونحو أسقفية صقلية،ودافع فردريك عن نفسه، وأبقى المناقشة حول المسألة القائمة،أي قضية الحملة الصليبية، وتابع القيام باستعداداته من أجل مغادرته للقيام بها،وبينما كان فردريك يحتفل بعيد الفصح في باري، جاءته رسالة من توماس أسيرا، الذي كان نائبه في سورية، أخبره فيها بأن السلطان المعظم صاحب دمشق، قد توفي، وأرسل الامبراطور بناء على ذلك، على الفور قوة مؤلفة من خمسمائة فارس نحو الشرق ، تحت قيادة رتشارد فيلنغر Filanger ، الذي كان

وأعيقت الامبراطورة ايزابل وسط هذه الاستعدادات بطفل، وولدت في ٢٥ ــ نيسان ١٢٢٨ في أندريا بصبي ذكر منح اسم كونراد،وكانت معاناة الولادة قاسية جداً بالنسبة للامبراطورة ابنة السابعة عشرة، ولقد توفيت بعد عشرة أيام من ولادتها، تاركة كونراد وريثاً لعرشها في القدس، وهكذا انتزع اللقب من فردريك ، قبل أن يشرع بسفره نحو مملكته في القدس، وعندما أقلع أخيراً في ٢٨ حزيران، كان ادعاءه القانوني الوحيد بعرش المملكة الشرقية متمثلاً بوضعه كوكيل لابنه الرضيع، وزيادة على هذا لقد أبحر على الرغم من الحظر البابوي، الذي منع تحت التهديد بالحرمان الكنسي وعدم المصالحة مع الكنيسة، إذا ما قام بالحملة الصليبية.

ب ـ *الحملة الصليبية: حزيران ١٢٢٨ ـ أيار١٢٢٩* .

عندما أبحر الامبراطور، وهو في لجة الحظر البابوي، من برنديزي في ١٢٢٨ ، وشرع بحملته الصليبية التي تأخرت كثيراً، كانت قوته صغيرة، تألفت من أربعين مركباً فقط، فقد كان الجزء الأعظم من جيشه قد تقدم أمامه، لكن وإن أخذنا ذلك بعين التقدير كانت الحملة الصليبية الامبراطورية أقل عظمة مما خطط له بالأصل، وبعد ابحار دام أربعة وعشرين يوماً،اجتاز فيها الأسطول الامبراطوري سواحل كورفو، وسيفالونيا، والمورة، و كريت، وصل يوم ٢١ تموز إلى ميناء ليماسول في قبرص، حيث التقى بتوماس أوف أسيرا وفيلنغر ، وبالين صاحب صيدا، وبعض من أعيان نبلاء المملكة ، وكان يحكم مملكة قبرص آنذاك الملك هنري الأول، وكان صغيراً، وقد ناب عنه جون دي إيبلين صاحب بيروت، حيث كان يعمل وكيلاً يتولى إدارة المملكة، وكان فردريك يعدّ قبرص بمثابة إقطاعية إمبراطورية، بحكم أن الملك عموري كان قد تلقى لقبه الملكي من هنري السادس في سنة ١١٩٧، وكان قد اعترف بالتابعية للامبراطورية، ولهذا قرر فردريك الضغط من أجل حقه